الرِّسَـــالة ٧٧

أنتَ مَخلــوقٌ لِتتمــَتع

(Arabic - Your loving God gives you richly all things to enjoy.)

أحبّائِى: حَديثنا اليَوْمَ مَوضُوعُهُ: أنتَ مَخلوقٌ لِتتمَتعَ

ومِنْ رسَالة بُولس الرّسُول الأولى إلى تيموثاوس الأصْحَاح السّادس نقرَأ الأعْدَادَ مِنَ السّابع عَشَرَ إلى التاسِع عَشَرَ:

أوص الأغنياءَ فى الدَهر الحَاضِر أنْ لا يَستكبرُوا ولا يُلقوا رَجاءَهُمْ على غَيْر يقينيّةِ الغِنَى بلْ على اللهِ الحىّ الذى يمنحنَا كلّ شَىءٍ بغِنَى للتمتع.. وأنْ يصنعُوا صَلاحاً وأنْ يكونوا أغنياءَ فِى أعمَال صَالحةٍ.. وأنْ يكونوا أسْخياءَ فِى العَطاء كرَمَاءَ فى التوزيع.. مُدّخرين لأنفسِهِمْ أسَاساً حَسناً لِكى يُمْسِكوا بالحَيَاةِ الأبديّةِ.[١]

قرأتُ منذ أيام فى إحدى المجلات المصريّة أنّ مِنَ الأغنياء بمصر مَنْ يمتلكُ سيّارَة يُعادل ثمنها متوسط دخل ثمانية آلاف مِصْرىّ فى السّنة!. وأخذتُ أتخيّل هذه الآلاف الثمانية تتطلعُ باندهاش الى ذلك الثرىّ داخلَ سيّارتهِ يجوبُ بها شوارعَ القاهرة.. ولم استبعدْ أنّ ذلك الثرىّ داخلَ سيّارتهِ الثمينة يلاحظ دهشتهُم وهُمْ يتطلعون إليهِ فى ذهُول وقد ازدحمتْ الشوارعُ والأرصفة بهؤلاء المشاة وضاقت.. وامتلأ قلبى حسْرة وأنا أفكر فى هؤلاء الأثرياء الذين لا يعرفون واجبهم نحو أولئك المُعذبين فى الأرض!. وراودتنى أمنية تمنّيتُ تحقيقها وهى أنْ يفتحَ هؤلاء الأثرياء قلوبَهم لمَعرفةِ الله المَعرفة الحقيقيّة وبذلك يعرفون حقهُم وحقّ أولئك الآلاف البشريّة عليهم.

أقولُ إنّ الله خلقنا لنتمتعَ ولكنْ ليس الحصولُ على المال فى حد ذاته هو المِتعة الحقيقيّة وليس الحرمانُ منهُ هو الشقاءُ الحقيقىّ.. فكم مِنَ الناس يشعرون بتعاسَةٍ مع توفر المال لديهم ونرى غيرهم سعداء رغم معاناتهم فى الحصول على القوت الضرورىّ لهم ولأولادهم.. فليس الفقر أو الغنى هو العاملُ الأساسىّ للتمتع فى الحياة.. وظاهرة الانتحار التى نقرأ أو نسمع عنها لا يرتكبُها بعضُ الناس لعدم توفر رغيف الخبز لديهم.. فملايين البشر فى شتى أنحاء العالم يتضورون جوعاً ومع ذلك لمْ يفكروا يوماً أنْ يقتلوا أنفسهم.. بل على العكس هم يعيشون على أمل أن إخوتهم فى الإنسانيّة الذين تتوفر لديهم مصادرُ الرزق والثروة يعرفون واجبهم نحوهم فيشاركونهم فيما أحسن الله عليهم وأغدق.. ونحنُ نعلمُ أنّ اللهَ خلقَ الأرضَ وهى غنيّة بالمصادر التى تكفى احتياجات البشر جميعاً ولا يجوز أن يحتكرها القوىّ ويُحرمَ منها الضعيف.

إنّ للفقير حقاً فى مال الغنىّ وهذا الحقُّ أقرّهُ اللهُ فى كتابهِ المقدّس ولا نحسبه أمراً غير جائز أن يمتلك إنسانٌ مالاً وفيراً طالما يمتلكُ معهُ ضميراً صالحاً مُستخدِماً وسائلَ شريفة للحصول عليه.. وبالعودة إلى كلمةِ الله نرى بولس الرسول يوضح فى رسالته الأولى إلى تيموثاوس الأصحاح السادس واجبه نحو الأغنياء من أولاد الله بالكنيسة وهو أن يوصيهم بألا يلقوا رجاءهم على ما جمعوه من مال بل على الله الحى الذى يمنحنا كل شىء بغنى للتمتع ولا يجوز لهم أنْ يحتلّ ما جمعوه وادّخروه من مال وثروة مكاناً فى قلوبهم يَحرم الرب مِنَ التواجد فيه وبالتالى لن تتسع قلوبهم لإخوتنا فى الإنسانيّة. ويوصيهم أنْ يصنعُوا صلاحاً وأنْ يكونوا أغنياءَ فى أعمَال صالحةٍ وأنْ يكونوا أسخياءَ فى العطاء كرماء فى التوزيع. مدّخرين لأنفسهم أساساً حسناً لكى يُمسكوا بالحياة الأبديّة.[٢]

إن الله يمنحنا المال لنتمتع به لا أنْ يسودَ على قلوبنا فنصير للمال عبيدا.. لقد رفض موسى قديما البقاء فى قصر فرعون والتمتع بغنى مصر فى القصر الملكىّ وهو الحائز على لقب ابن ابنة فرعون. فكاتب الرسالة إلى العبرانييّن الأصحاح الحادى عشر العدد الرابع والعشرين يقول: "بالإيمان موسى لمّا كبر أبى أنْ يُدعى ابن ابنة فرعون مُفضّلاً بالأحرى أنْ يُذلّ مع شعب الله على أنْ يكونَ له تمتع وقتى بالخطيّة"... رفض متعة مقترنة بحرمانه وحرمان شعبه من استمتاع بعبادة الإله الحىّ وذهب ليرعى غنماً فى وادى مديان!. [٣]. كمْ مِنْ فقراء لا

---

[١] رسالة بولس الرسول الأولى إلى تيموثاوس ٦: ١٧ – ١٩ ، استمع إلى الإنجيل

[٢] إنجيل متى ٦: ٢٤

[٣] الرسالة إلى العبرانييّن ١١: ٢٤ – ٢٥ ، سفر الخروج ٣: ١

يمتلكون ولكنْ هُم فى الحقيقة أغنياء بما هو أثمن منَ الذهب ويستمتعون بالقليل الذى بين أيديهم ويردّدون مع بولس الرسول قوله فى رسالته الثانية إلى كورنثوس الأصحاح السادس: كفقراء ونحن نغنى كثيرين.. وقوله فى رسالته الأولى إلى تيموثاوس الأصحاح السادس: "لأنّ التقوى مع القناعة تجارة عظيمة".[1]

كم من أغنياء بالمال ولكن هم فى الواقع فقراء لأن ما جمعوه مِنْ مال أصبح يمتلكهم قلباً ونفساً وروحاً ويتسلط على حياتهم بجملتها.. فما عادوا يمتلكونه لأنهم عبدوه.. إنّهم يعيشون مِنْ أجل جمعه دون اكتراث بأن الله سوف يدين الناسَ عما فعلوا بالجسد إن كان خيراً أم شراً.. يقول الكتاب بالرسالة إلى العبرانيين الأصحاح التاسع والعدد السابع والعشرين: "وضع للناس أن يموتوا مرّة ثمّ بعد ذلك الدينونة".. سوف يُفاجئون بيوم سيأتيهم لم يحسبوا له حسابا وفيه يطلب الله نفوسهم منهم. ليواجهوا مَا لمْ يستعدوا لمُواجهته.[2]

نحن كمؤمنين الأحرى بنا أن نلاحظ أنفسَنا وكلمةِ الله.. لنعطيَها الأولويّة فى حياتنا.. وأنْ نحرصَ على أن نكون حسْبَ ما جاء بالوحى الإلهى: "أغنياءَ فى أعمال صالحة. أسخياءَ فى العطاء. كرماءَ فى التوزيع. مدخرين لأنفسنا أساساً حسناً كى نمسكَ بالحياة الأبديّة".. إنّ السخاءَ فى العطاء يستلزم نضوجاً روحيّاً. فكلمَا نضجنا روحيّا كانت مِلكيّة الرّبّ لنا ولأموالنا هى مُشتهى نفوسنا وشعارُنا هو ما جاء بسفر أعمال الرسل الأصحاح الرابع عن الكنيسةِ الأولى: "ولمْ يكنْ أحدٌ يقولُ إنّ شيئاً مِنْ أموالهِ لهُ بل كان عندهم كل شىء مشتركاً".

للأسف يقع بعض المؤمنين أحيانا فى الخطأ نفسه ويصبحون فريسة لحب المال.. إنّ المؤمن كما نعلم واحد من اثنين إمّا مؤمن روحىّ يتمتع بقيادة الروح القدس.. أو مؤمن جسدىّ يصارع بين امتثاله لروح الله الساكن فيه وبين شهوات الجسد وأطماعِهِ.. المؤمن الروحىّ سخىّ فى العطاء ويُعطى بسرور.. أما المؤمن الجسدىّ فبالجهد يقدّم من مالهِ لعمل الله ومُساعدة إخوته المُحتاجين.. فالطبيعة الجسدية تستمتعُ بالأخذ لا العطاء.. والمؤمن حين يقع تحت سيطرة الجسد يحتلُ المالُ المكانة الأولى فى حياتهِ فيبخل به ويشح.

أما المؤمن الروحى فبالروح يسلك وبالروح يسترشد محققا بماله قصد الله فى حياته.. يفرح إذا أتاه الله مالا أوفر لا لينفق على نفسه أكثر بل ليعطى بسخاء أوفر.. وبهذا يتمتع بسرور وفرح أعظم.. إن الله خلقنا لنتمتعَ هنا على الأرض.. ولنتمتع هناك فى الحياة الأخرى بعد فناء الجسد الترابى.. فعند المجىء الثانى للرب كما وعد سيكون لنا جسد جديد بصفات جديدة.. لا ننكر أن واجبنا نحو هذا الجسد الترابى أن نعتنى به ونقوته ونوفر له احتياجاته.. ولكن ليس من الحكمة أن يشغلنا الفانى عن الأبدى الباقى.

إن قصدَ الله من جهتنا أن نتمتع كمؤمنين متعة متصلة.. متعة تبدأ هنا وتدوم معنا هناك فى السماء.. فليس مِنْ متعة بعيداً عن ارتباطنا بالله.. إنّ شقاءَ الإنسان أساسُه انفصالهُ عن الله.. وهذا يبدأ من هنا ويدوم مع المنفصلين عن الله هناك فى العذاب والشقاء الأبدى.. وحياتنا الأبديّة تتحدّد بما نقرّره نحن هنا: إما ارتباط بالله أو انفصال عنه وارتباط بالعالم الحاضر.. لذلك أسألك عزيزى القارئ: ماذا قررتَ؟. هل أنت على الطريق الصحيح؟ هل يستند رجاؤك على المال الفانى أم على الله الحى الباقى؟. الذى يمنحنا كل شىء بغنى للتمتع.

إنّ مَنْ يعطى السيادة لروح الله على حياته سيختبرُ متعة العطاء بسخاء وسرور حتى لو كان يمتلك القليل.. لقد وهبنا الله المال لا ليملك علينا ويسود ولكن لنستخدمه طوع ما يرشدنا به روح الله.. ليتنا نعطى القلب كله لله أولاً لأنّ الله لا يقبل عطاءً مادياً ما لمْ يسبقه عطاءُ الإنسان نفسه لخالقه وفاديه ومخلصه.. إنّنا مخلوقون لنتمتع.. فليتنا نتمتع بسلام الرب العجيب فتبدأ أفراحنا هنا وتستمر أفراحنا هناك مع الأبرار والقديسين.

ليتك أخى تشترك معى فى تلك الصلاة: أبانا السماوىّ.. أشكرك فأنتَ مصدرّ كلّ خير ونعمة.. أحمدك لأنك الإله الذى يمنح عبيدَه كلّ شىء بغنى للتمتع.. هبنى أن أحقق قصدك فى حياتى.. مدّخراً لنفسى أساساً حسناً لكى أمسكَ بالحياة الأبديّة.. أرفع صلاتى فى اسم يسوع فاقبلنى سيّدى يَا مَنْ قلتَ: مَنْ يُقبلْ إلىّ لا أخْرجْهُ خَارجاً.

أخى القارئ العزيز.. إنْ أرَدْتَ سماع تلك الرسالة أو غيرها ستجدُ ذلك فى:
http://www.muhammadanism.org/Media/Audio/BetterLife/Default.htm

---

[1] رسالة بولس الرسول الثانية إلى مؤمنى كورنثوس ٦: ١٠ ، الأولى إلى تيموثاوس ٦: ٦
[2] الرسالة إلى العبرانيين ٩: ٢٧ ، إنجيل لوقا ١٢: ٢٠ ، سفر أعمال الرسل ٤: ٣٢